

تفريغ الكلمة الصوتية

مقاصد الجهاد

للشيخ:
عطية اللَّه الليبي

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

مقاصد الجهاد

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نَصِل إلى الكلام عن التوحيد، نحن قلنا أن الله -سبحانه وتعالى- شرع لنا وفرض علينا وأوجب علينا الجهاد في سبيله؛ من أجل أن تكون كلمته هو -سبحانه- ودينه وشريعته هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، قال الله -تعالى-

الآية في سورة الأنفال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}

إذن نجعل العنوان الكبير: (**مقاصد الجهاد وغاياته**)

الله -سبحانه وتعالى- أمر في هذه الآية بقتال الكافرين، قال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى} يعني إلى هذه الغاية.

أن الله -سبحانه وتعالى- شرع لنا وفرض علينا الجهاد لمقاصد أهمها مقصد التوحيد، تحقيق التوحيد وإيجاده وحمايته وصَوْنه، وسنتكلم عن التوحيد، ونتكلم ابتداءً على هذه الآية.

قال -تعالى-: {وَقَاتِلُوهُمْ}

"قاتلوا" هذا أمْر بالقتال، قَاتل يُقاتِل مُقاتلةً وقتالًا، والأمرُ قاتِلْ للواحد، وللجماعة قاتلوا.

{وَقَاتِلُوهُمْ} مَن هم؟ الضمير عائد على الكفار المذكورين في الآية التي قبلها، قال -تعالى-: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: قاتلوا الكفار لهذه الغاية، وهذا أمر بالقتال.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} يعني قاتلوا الكفار، حتى: حرف غاية، ولها معاني كثيرة في اللغة العربية واستعمالات كثيرة، من أهم معانيها:

أنها حرف غاية، لبيان الغاية "حتى تكون" بمعنى: إلى هذه الغاية

وقاتلوهم إلى هذه الغاية، ما هي؟ أن لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

فأمَرَنا بقتال الكافرين إلى هذه الغاية، يجب علينا، مفروضٌ علينا من قِبَل ربنا -عز وجل- أن نقاتل الكفار إلى هذه الغاية، ما هي الغاية؟ سنشرحها الآن.

وتستطيع أن تقول: حتى بمعنى: إلى أن، إلى أن يحدث كذا وكذا.

{حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني إلى أن لا تكون فتنة، إلى هذه الغاية، قـاتلوهم إلى هذا الحد، وإلى هذا الغاية وإلى هذا القدر.

أن لا تكـون فتنـة، ما هي الفتنـة؟ قـال العلمـاء في التفسـير: الفتنة هي الكفر والشرك، والمقصـود لا مُطلق الكفر والشـرك؛ لأن الكفر والشـرك يمكن أن يبقى مع غلبة الإسـلام يبقـون تحت الإسـلام، أهل الذمة -مثلًا-، ليس المطلوب إفناء الكافرين بالمرَّة، ولكن المقصود: حتى لا تكـون فتنة وشرك له سلطان ونفوذ وغَلَبة، سـلطان يفتن النـاس وهـذا معـنى الفتنة في الحقيقة ولهذا كان الكفر والشرك بمعنى الفتنة.

له سـلطان وغلبة وقـوة ونفـوذ وحكم ظـاهر غـالب يفتن النـاس، يعـني يصرفهم ويصدهم عن دين الله.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}

"تكون" هنا في الآية هذه تسمى كـان التامة وليست الناقصـة، ليست هي التي من باب كـان وأخواتها المعـروف في النحـو، لا، كـان التامة {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} ولهذا كلمة "فتنة" هي فاعلٌ لـ"تكون"، وليس اسم "تكون".

"تكون" هذه تامة، لأن اسم "كان" يكون تامًا ويكون ناقصًا، تامة وناقصة.

الناقصة هذه هي التي معقودٌ لها باب في النحو يسمى باب كان وأخواتها، لكن التامة فعلٌ ماضٍ كامل تام يرفع فاعلاً، يحتاج إلى فاعـل، ففتنة هـذه فاعل "تكون"

{حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني حتى لا توجد فتنة.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} والمقصود بالفتنة: الكفر والشـرك الغـالب الظاهر الذي له نفوذ وقوة وسلطان يفتن النـاس ويصـرفهم عن دين الله ويصدهم عن دين الله وعن التوحيد.

"و" عطف عليه {حَتَّى لَا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} المقصـود بالـدين: الـدين الـذي له نفـوذ الأحكـام حـتى تكـون أحكـام الله ودين الله وقـوانين الله وشـريعة الله هي النافـذة هي المتحكمة هي المهيمنة هي الغالبة الظاهرة ففي هذه الحالة يكـون الـدين كله للـه، دينونة النـاس لله

بشكل كامل، والخضوع لله {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} يعني الدينونة لله - سبحانه وتعالى- بأن تكون أحكامه هي النافذة فقط، فهذا تكميل للأول بأن لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، هما بمعنى واحد هو بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع تغاير اللفظ، أو عطف الشيء على نفسه بنفي ضده فهو توضيح، فكلها بمعنى واحد.

المترجم: هذا إذا كان بمعنى بعد انتهاء سلطة الشرك، هو في نقطتين:

- **أن تنتهي قوتهم**
- **إقامة الشريعة**

الشيخ: وحصول النفوذ لدين الله، لا تنتفي سلطتهم فقط، لا بد أن يكون دين الله هو الكامل، فهذا النفي وهذا الإثبات.

ما هو الكفر والشرك والفتنة التي أنواعها ومظاهرها التي أمرنا الله - سبحانه وتعالى- بأن نحاربها ونزيلها ونلغيها؟

مظاهر كثيرة، وسنتكلم عن بعضها على وجه الإجمال.

فأولها وأعظمها، مظاهر وصور الشرك والكفر التي فرض الله علينا الجهاد من أجل إزالتها، وهي تختلف من وقت لوقت، لكن من أهمها الآن:

1- الشرك في الحكم، أن يُشرَك مع الله غيره في الأحكام، الله -سبحانه وتعالى- خلقَنا وأوجدَنا كي نعبده وحده لا شريك له، وأوجدَنا في هذه الحياة الدنيا للامتحان والاختبار والفتنة والابتلاء؛ لينظر كيف نعمل، لينظر من الذي يطيعه ويتبع رسله ومن الذي يعاند ويتمرد ويعصي ويتبع هواه، وأمرنا أن نحكم بشريعته وحده لا شريك له، أن نفرده وأن نوحده في الحكم في تحكيم شريعته.

قوانين الله أحكام الله أوامر الله ونواهيه فقط هي التي نعمل بها، فأتى أقوام من بني جلدتنا من أقوامنا من أمتنا ورفضوا حكم الله! قالوا: ما نريد حكم الله، لا نريد الشريعة، لا نريد قرآن ولا سنة ولا حديث ولا علم ولا فقهاء ولا نريد شيء، ما نريد هذا كله، نريد قانون فرنسا، وقانون

سويسرا، وقانون انجليز وبرلمان يفكر ويشرِّع القوانين لكل المسائل ونعمل قانون وضعي نحن وضعناه، موضوعٌ من قِبَلنا نحكم به.

هذا كفر وشرك، هذا خروج عن الإسلام ومن فعل ذلك خارجٌ عن الإسلام، هذا كفر وشرك مثل كفر الكافرين تمامًا، هذا أمرَنا الله أن نجاهده وأن نقاتله حتى نقضي عليه.

فإذن الله -سبحانه وتعالى- تعبَّدَنا يعني طلب منا أن نعبده، بأن نحكم بشريعته فقط لا غير، وقال لنا: الحكم بشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهي هو الواجب عليكم وهو المفروض عليكم، وهو العبادة التي تؤدونها لي وما سوى ذلك إذا حكمتم بغير ديني وشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهيَّ فقد كفرتم بي وخرجتم عن ديني، وهذا واضح في القرآن موضح توضيح كاملًا وسنذكر بعض الآيات.

فمن ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- قال: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الآية في سورة يوسف.

"إن" هذه نافية بمعنى "ما" ما الحكم إلا لله.

"إن الحكم" أصلها "إن" ساكنة وإنما حركت بالكسر تخلصًا من الْتقاء الساكنين.

"إن الحكم إلا لله" ليس الحكم إلا لله وحده لا شريك له.

"أمر" خلْقَه وعباده.

"ألا تعبدوا إلا إياه" أمر ألا تعبدوا أيها الناس أيها الخلق إلا إياه، إلا هو، "إياه" هذا ضمير النصب.

"أمر ألا تعبدوا إلا إياه" هو فقط تعبدوه لا تعبدوا غيره.

قال: "تعبدوا" هنا تنبيهًا على أن الحكم بأحكامه والعمل بأحكامه هي عبادة لا تنبغي إلا له -عز وجل-.

"إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا" بمعنى: ألا تعملوا إلا بأحكامه هو، هذه هي عبادته.

"إلا إياه" بتطبيق أحكامه والعمل بأحكامه؛ لأن الحكم له وحده لا شريك له.

فهذه هي أهم آيه في الباب، ومثلها في القرآن موجود في سورة أخرى، ومعناها في القرآن مبثوث، وسنذكر بعض الآيات الأخرى.

والآيات في القرآن كثيرة ومنها قوله -تعالى-: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}

الله -عز وجل- هو لا يُشْرِك في حكمه أحدًا، يعني لم يتخذ شريكًا بل هو الحاكم وحده.

وأيضًا على سبيل المثال قوله -تعالى-: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} سورة الشورى. "من شيء" هذا للتعميم.

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ} أيها الناس، مهما كان صغير أو كبير في الأحكام المتعلقة بذواتكم، بأي معنى من معاني الذوات، بأي قيمة من القيم، بأي شيء من دين أو دنيا أو غير ذلك من منازعات ومشاجرات ومخاصمات أو أي شيء.

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} أي وحده لا شريك له فخذوه من الله واطلبوه من رسالة الله ومن شريعة الله.

وقال الله -تعالى- في سورة الأعراف {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فبين الله -سبحانه وتعالى- أن الخلق والأمر كلاهما لله -عز وجل- وحده لا شريك له، كما أنه ليس له شريك في الخلق كذلك أيضًا ليس له شريك في الحكم، في الأمر والنهي.

يعني أن الله الذي خلق الخلق هو الذي يعطيهم الأوامر، يأمرهم وينهاهم، وقد بين لهم كيف يفعلون وكيف يتصرفون، كيف يعبدونه، وخلقهم لأجل عبادته، وبين لهم كيف يعبدونه بأن أرسل لهم الرسل وأنزل لهم الكتب، فبين لهم فيها كيف يعبدونه وكيف يتصرفون في كل مسألة وقال لهم: أنا الحاكم فيكم جميعًا، حكمي هو النافذ، ولا ينبغي ولا يجوز ولا يصح ولا يكون أبدًا أن يحكم غيري.

والعقل يحكم ويدل ويفيد بأن صانع الصنعة هو الذي يعرف صـلاحها، كيف تصلح، ويتوقى عن فسادها، صانع الصنعة هو الـذي ينبغي أن يضع لها القـوانين ويضع لها الأحكـام، كيف تسـير وكيف تفعل لكي تصـلح ولكي تكون على أحسن حال، ولهـذا قـال الله -سـبحانه وتعـالى-: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.

ولهـذا فلا صـلاح للإنسـان في نفسه -في النفس-، ولا صـلاح للبشـرية -للاجتماع البشري- ولا صلاح للدنيا وما فيها من مصـالح وإرادات وغيرها إلا باتباع شريعة الله وأحكام الله.

هـذا العقل يقضي به والشـريعة جـاءت به وبينته ووضـحته، وأمرنا الله أن نحكم بشـريعته فقط لا بشـيء آخـر، وبين لنا أن هـذا من عبادتنا له المطلوبة والتي يجب أن نفرده ونوحده بها، ونهانا أن نحكم بغـير شـريعته النهي الصريح والقاطع والواضح في الكتاب العزيز وفي سنة نبيه ، وبين لنا أن الذين يحكمون بغير شريعته أنهم خرجـوا من شـريعته وخرجـوا من دينه قـال الله -تعـالى-: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْـزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} الآية في سورة المائدة

فـبين لنا أن الـذي إذا حكم لا يحكم بشـريعة الله فقد خـرج من دين الله وصار كافرًا.

وبين لنا -سـبحانه وتعـالى- أن الـذي يشـرع مع الله ويضع أحكامًا للخلق ويُشـرِّع لهم ويـزاحم الله في حكمـه، أنه طـاغوت وأنه قد جعل نفسه شـريكًا للـه، وأن الـذي يرضى به ويعمل بأحكامه قد اتخـذه إلهًا مع الله وشريكًا لله وصار بذلك طاغوتًا، يسمي الله -سبحانه وتعالى- هذا طاغوت قال الله -تعالى-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَـرَعُوا لَهُمْ مِنَ الـدِّينِ مَا لَمْ يَـأْذَنْ بِـهِ اللَّهُ} في سورة الشورى هذه أيضًا.

هذه الآية هي في صورة الاستفهام يعـني "أم" هـذه للإضـراب والمقصـود بعدها الاستفهام، يعني التقدير هل لهم شركاء؟ المقصود بالاسـتفهام هـذا إنكار، استفهام إنكاري، يعني لا وجود له، هل لهم آلهة أخرى يشـركون مع الله شرعوا لهم من الدين شيئًا؟!

"ما" هذه ما التنكير، يعني شيئًا لم يأذن به الله؟! لا، ليس موجـود مع الله شركاء يشرعون للناس شيئًا لم يأذن به الله، فدلت الآية على أن كل من يشـــرِّع من دون الله أنه اتخذ نفسه شـــريكًا مع الله وأن الـــذي رضي به اتخذه شريكًا وإله مع الله، فهذا شرك.

فالتشريع من دون الله شرك، والذي يتخذ مُشرّعًا يشـرّع له من دون الله ويتبعه اتخذه شريكًا مع الله وأشرك بالله -عز وجل- وكفر وخـرج من دين الله.

والله -سبحانه وتعالى- في القرآن بيّن هذه المسألة تبيين كامل، ووضـحها أحسن توضيح ليس بعده توضيح، هذه من أوضح المسائل في القرآن.

حـتى قـال الله -سـبحانه وتعـالى- عن المنـافقين الـذين يزعمـون أنهم مؤمنون قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُمْ آمَنُـوا بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَـدْ أُمِـرُوا أَنْ يَكْفُـرُوا بِـهِ وَيُرِيـدُ الشَّـيْطَانُ أَنْ يُضِـلَّهُمْ ضَـلَالًا بَعِيـدًا} الآية هـذه الـتي تلوناها في سورة النساء، سبب نزولها أن رجلًا ممن ينتسب إلى الإسلام -ممن يزعم الإسلام والإيمان وهو من المنـافقين- تخاصم مع رجـلٍ من اليهـود، فـذهبا إلى النبي ﷺ؛ ليحكم بينهم فحكم النبي ﷺ بينهم، فرضي اليهودي ولم يرضَ المنافق بحكم النبي ﷺ، قال المنافق لليهودي: نذهب إلى أبي بكـر، قـال: نذهب.

ذهبا إلى أبي بكر، فقالا له: اختصمنا وذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بيننا بكـذا وكذا، فقال لهما أبو بكر: "ما حكم به النبي ﷺ هو الحكم".

خلاص ليس لأحد بعده حكم، وذهبا عن أبي بكر ولم يرضيا بحكم أبي بكر، قال المنافق أيضًا لليهودي: تعال نـذهب إلى عمـر، فـذهبا إلى عمر -طبعًا تعرفون شدة عمر وقوته في الحق- قـالا لعمر: ذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بكـذا وكـذا ولم يـرضَ صـاحبي فـذهبنا إلى أبي بكر -فقصَّـا عليه القصة- فقال لهما عمر: حكم بينكما النبي ﷺ قالوا: نعم، حكم بيننا بكذا وكذا

قال: ولم ترضيا؟ قال: صاحبي لم يرضَ وكذا

قـال: انتظـرا مكانكمـا، فـدخل إلى بيته وأخـرج سـيفه وأتاهما مسـرعًا فضرب رأس المنافق فقتله وأطـار رأسه وكـان يريد أن يضـرب اليهـودي فهـرب اليهـودي، فـنزلت هـذه الآية في المنـافقين {أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَـاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} من هو الطاغوت؟ هو الذي يشرِّع من دون الله.

هو الـذي يُصـدر أحكامًا من دون اللـه، يشـرِّع ما لم يـأذن به اللـه، بغض النظر عن قول الله غير ملتزم أصـلًا بأحكـام الله ولا نـاظر لها ولا ملتفت إليها، من عند نفسه يشرّع، هذا هو الطاغوت.

{يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَـاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} هـؤلاء المنـافقون، فسـماه طاغوتًا وأمر بالكفر به وقال أُمروا أن يكفروا به في الحقيقة وهم يتحـاكمون إلى الطاغوت فذمهم على ذلك، وجعلهم محكوم عليهم بالنفاق يزعمـون أنهم آمنوا، وفي الحقيقة هم لم يؤمنوا.

النبي أهدر دمه بعد أن قتله عمر، قال النبي : (دمه هَدْر)

أحد الحاضرين يسأل بغير العربية، تلى آية {ألم تر إلى الذين يزعمـون...الآية} ويريد ترجمة {ويريد الشـيطان أن يضـلهم ضلالًا بعيدًا}

الشيخ: تمام الآية، قال -تعالى- {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} يريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا كبيرًا يعني ضلال كبير وضـلال بـالغ أقصى غاياته، هذا معنى {وَيُرِيدُ الشَّـيْطَانُ أَنْ يُضِـلَّهُمْ ضَـلَالًا بَعِيـدًا} حين جعلهم يتحـاكمون إلى الطـاغوت؛ لأن الشـيطان في النهايـة، كل الكفر وراءه الشيطان، وكل معصـية وراءها الشـيطان وسـببها الشـيطان ووسوسـته -لعنه الله- هو الذي يسول لبني آدم فقال: ويريد الشيطان أن يضلهم بذلك -بتحـاكمهم إلى الطـاغوت- ضـلالًا بعيـدًا وفي هـذا بيـان أن التحـاكم إلى الطاغوت ضلال بعيد جدًا.

المـترجم: ربما أن يكـون عنـده شـبهة أن الله -عز وجل- ما سمى هـذا العمل كفـرًا بل سـماه ضـلالًا بعيـدًا، لأن مثل هـذه الشبهات...

الشـيخ: ما أظن، ليس هـذا الـذي مقصـود، طبعًا هـذه الآية واضـحة أنها جـاءت في المنـافقين والمفسـرون على هـذا واضح وسـبب الـنزول هـذا وقوله -تعالى-: {يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا} وكذَّبهم الله في هذا وأشـار إلى أن هذا مجرد زعم لا حقيقة له، فهذا من النفاق والنفاق كفر.

وبينت الآيات الأخرى معـنى الكفر ومعـنى الطـاغوت، والطـاغوت في لغة العرب: هو مشتق من طغى يطغى، طغى يعني: تجـاوز الحـد، قـال الله -تعالى-: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} ماء الطوفـان، طوفـان سيدنا نوح، قال الله -تعالى-: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى}

مذكور في القرآن الطغيـان في مواضـع، وهو صـفة الكـافرين المتمـردين الجبابرة العتاة الذين يجاوزون الحد.

فالطاغوت الذي جاوز حده -حد العبودية- هو المفـروض عبد للـه، فتجـاوز حد العبودية ونـــــــــازع الله في حكمه وزاحمه في حكمه ونازعه عزته وكبريـاءه ونازعه في خصائصه -سـبحانه وتعـالى- فالله -عز وجل- يذلـه، الله سمى هؤلاء الطواغيت وأمرنا أن نكفر بالطـاغوت قـال الله -تعـالى-: {فَمَنْ يَكْفُـرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُـؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وأمرنا في آيات كثيرة في القـرآن أن نكفر بالطاغوت.

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَــوْنَ إِنَّهُ طَغَى} جــاوز حـــده، مجــاوزة عظيمة وادعى الربوبية والإلهية وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْـرِي} وقـال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} هذا طاغوت كبير، فرعون كان من الطواغيت.

مداخلة لأحد الحاضرين غير مفهومة

الشيخ: بعد رسول الله، فكيف بمن تحاكم إلى الكفرة إلى قوانينهم!

صدقت، بارك الله فيك.

فهذا هو الطـاغوت، هو الـذي ينـازع الله -عز وجل- في حكمه ويجـاوز حد العبودية الذي ينبغي أن يكون فيه إلى أن يأخذ صـفة الـرب وصـفة الإلـه، هذا هو الطاغوت.

الطاغوت، هذا من صور الطغيان التي يصـير بها العبد طاغوتًـا، أن يشـرّع للناس ما لم يأذن به الله ومنها:

- أن يدعّي الألوهية -مثلًا- كفرعون الذي ادعى الألوهية أو بعض الناس...، تعرفون آغا خان هذا المجرم، طاغوت هذا يدعو الناس إلى عبادتـه، يجعل نفسه إلهًا! هذا طاغوت، وهكذا بعض الكفرة العتـاة من الصـوفية بعضـهم يدعون الناس إلى عبادتهم هؤلاء طواغيت، أو الناس تعبدهم من دون الله فيتخذونهم طواغيت، هذا كله داخل في معنى الطاغوت -والعياذ بالله-.

- كذلك الأصنام والأوثان وبوذا وأمثـالهم، وكل ما اتُخذ إلهًا من دون اللـه، كل ما عبد من دون الله فهو طـاغوت، الأحجـار والأضـرحة والقبـور الـتي تُعبد من دون الله، هذه طواغيت، الناس اتخذوها طواغيتًا واتخذوها أصنامًا وآلهـةً فصـارت بهـذا المعـنى طاغوتًا يعبد من دون اللـه، حـتى وإن كـان صـاحب القـبر رجل صـالح، إن كـان رجل صـالح فالله يُبرئه {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} الله يبرئه إن كان صالحًا ولا يرضى بهذا ولا يأمر به، لكن الناس اتخذوه طاغوتًا وصار القبر أو الضريح طاغوت من دون اللـه، وصـنمًا وإله يُعبد مع الله أو من دون اللـه، وكـذلك من اتخذ شـجرة أو اتخذ حجـرًا أو نهرًا أو الشمس أو القمر أو غيرها شيء يُعبد من دون اللـه، فهو طـاغوت من دون الله.

ولهذا فالبرلمان الذي يشرّع من دون الله، البرلمان هذا طاغوت والقانون الوضـعي، قـانون الدولة الـتي لا تحكم بشـريعة الله إنما يحكم بقـانون أنفسـهم هم الـذي وضـعوه هم واختـاروه هم من بين قـوانين الأرض، اسـتفادوا من الأمم الأخـرى وزادوا وطـوروا وعـدلوا، وحـذفوا، ونسـخوا، وقـدموا وأخـروا، وجعلـوا لأنفسـهم قانونًا وكل يـوم البرلمـان يزيد في القـوانين ويشـرّع، كل ما تحصل الأحـداث يشـرّع ويسن قانونًا للأحـداث، للمسائل، للقضايا فهذا البرلمان طاغوت، إله يُعبد من دون الله.

لماذا؟ لأنهم يشرّعون ما لم يأذن به الله، من دون الله بغير إذنٍ من الله، يشرّعون الأشياء التي لم يـأذن بها الله ولم يعـطِ إذنًا ولا إجـازةً -سـبحانه وتعـالى- بل الله -عز وجل- وضع قانونًـا، وضع أحكامًا فهم لا يرضـون بها فيقولون لا نريدها ونبدلها ونعمل أحكام أخرى تليق بنا وتصـلح بنـا، وبحالنا وبعصرنا وبزماننا، وببلدنا.

فمثلًا: الله -سبحانه وتعالى- حكم بجلد الزاني الغير المحصن بجلده مئةً، وحكم برجم الزاني المحصن أو الزانية، المحصن برجمه حتى الموت، هم يقولون: لا، إذا زنى الشاب والفتاة عن تراضٍ فلا شيء عليهما، وإذا كان اغتصاب، أخذها بالقوة وبالاغتصاب فيحكمٍ عليه بالسجن -مثلًا- سنتين عقوبة.

فهذا تغيير وتبديل لحكم الله، أصلًا حكم الله موجود في المسألة فهم يبدلونه ويحذفونه ولا يرضون به ولا يريدونه ولا يلتزمون به، ويأتون بشيء آخر من أفكارهم ومن قناعاتهم هم سواء هم اخترعوها من عند أنفسهم أو استفادوها من غيرهم من الأمم، فهذا كفر صريح بيّن واضح من أوضح الكفر، والعلماء متفقون على أن هذا كفر، ما في خلاف أبدًا بين أهل العلم قديمًا وحديثًا.

فهذا معنى "ما لم يأذن به الله" لأنه معناه لا يلتزمون أصلًا بحكم الله، يعني لا يهم الله شرع أم لم يشرع، هذا لا يهمنا لا ننظر إليه نحن نختار ما نريد ونحن نشرع ما نريد، هذا معناه ويشرعون، الذي شرع الله والذي لم يشرع فيه الله والذي تكلم فيه الله، والذي لم يتكلم فيه الله هم لا يهمهم! هم يختارون! هذا معنى {مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}.

لكن -مثلًا- لو جئنا نحن عندنا هنا مجموعة من المجاهدين في المركز ووضعنا لائحة: ممنوع الخروج من البيت هذا في النهار، الخروج يكون في الليل فقط، إحضار الماء يكون الساعة كذا وكذا، الأعمال مقسمة على كذا، المجموعة الفلانية تفعل كذا والمجموعة الفلانية تفعل كذا، يُفعل كذا ولا يُفعل كذا.

هذا جائز وهذا ليس تشريعًا فيما لم يأذن به الله؛ لأن هذا مأذون لنا نحن عبيد الله مأذون لنا من قِبَل الله أن نفعل هذه الأشياء، هذا تحت تخويلنا، مُخوَّلٌ لنا فيه أن نضع لوائح أو قوانين أو غيرها لتسيير الأمور، أنا عندي شركة تجارية، عندي مصنع، أو عندي قوانين، قوانين سير المرور هذه جائزة، لماذا؟ لأن الله -سبحانه وتعالى- أذن فيها للناس ولم ينزل فيها شيء والله -سبحانه وتعالى- قال هذا لكم افعلوا فيه ما تشاؤون وقال النبي ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وهكذا هذه الأمور جائز فيها وضع لوائح

أو قوانين؛ لأنه تحت الشريعة، شرطها أن تكون تحت الشريعة بمعـنى: ألَّا تخالف الشريعة فقط.

ونحن في هذه الحالة ملـتزمون بشـريعة الله لا نخالفها ولا نخـرج عنها ولا نبــدلها ولا نغيرهــا، وإنما نعمل في المــأذون لنا فيــه؛ لأننا نحن مــأمورون بفعل الصــلاح والتــوقي عن الفســاد، والله -ســبحانه وتعــالى- خولنا في الأمور الـتي لم يحكم هو فيها وقـال النـبي : (أنتم أعلم بـأمور دنيـاكم)، فهذا فرق كبير بين هذه المسألة وبين...

وهذه من السياسة الشرعية التي يسميها علماؤنا السياسة الشرعية.

وهذه المسألة، يشـبهها مسـألة الأحكـام الفقهية الـتي تصـدر عن الفقهـاء وعن العلمـــاء، أئمتنا -رضي الله عنهم ورحمهم الله- أبو حنيفـــة، مالـــك، الشافعي، أحمد وغيرهم وسائر علماء الإسلام إلى آخر الدنيا، عندما يــأتي الفقيه من الفقهـاء والعـالم من العلمـاء ويفـتي في مسـألة معينة ويؤلف كتابًا في الفقه أو كتابًا في الفتــوى ويفــتي للنــاس ويقــول مســألة فلانية عندما يحصل فيها كذا فالحكم فيها كذا والواجب فعل كذا وينبغي فعل كذا ولا تفعلوا كذا وإلى آخره.

هو لا يحكم بغــير ما أنــزل اللــه، لكنه مخــولٌ في المســائل الاجتهاديــة، المسـائل المنصـوص عليها في القـرآن أو السـنة المُسـلَّمة الصـحيحة أو المُجمع عليها ســواء إجماعًا قطعيًا أو مبنيًا على الظن الغـالب، فهـذه هو فيها بمنزلة الراوي يروي عن الله ويخبر بحكم الله.

والمسائل الاجتهادية هو يحاول ويسعى ويجتهد في استنباط الحكم لها من كلام الله ومن كلام رســوله وما دل عليه كلام الله ورســوله، من القــرآن والسنة وما في معناهما: الإجماع، القيـاس، المصـلحة، الاستصـحاب، كـذا كذا من الأدلـة، فهو العـالم والفقيه يجتهد فيسـتنبط الحكم ويسـتدل على الحكم ويخبر الناس بـه، وهـذه هي الفتـوى، الفتـوى: هي الإخبـار بـالحكم الشرعي لا على الوجه الإلزامي.

فهذا الفقيه وهذا المفتي وهذا العالم وهذا الإمـام يشـرّع للنـاس فيما أذن الله له فيــه، فهو يعمل تحت إذن الله ملتزمًا بشــريعة اللــه، لا يخــالف شريعة الله ولا يخرج عنها بل هو يستنبط منها ويفهم منها ويسـتخرج منها

الأحكــام للمســائل الــتي لم تنص عليها الشــريعة، ففــرقٌ كبــير كما بين السماء والأرض.

فالفقيه المستنبط للأحكام عامــلٌ ومشــرّعٌ تحت الإذن -تحت إذن الله عز وجل-.

مسـألة ثانية بقيت في الموضـوع، وهي لو جـاء البرلمانـات في باكسـتان وقـال في القـانون، القـانون له شُـعبٌ كثـيرة: التجـارة، التعليم، الصـحة، العقوبات -الجزاءات- الأحوال الشخصـية، يعـني أحـوال الأسـرة والعائلـة، الزواج والطلاق والنكـاح، المـرأة والأطفـال والتربيـة، الحضـانة، الكفالـة، سموها الأحوال الشخصية، كثير عنـدنا في البلاد العربية موجـود وهنا أظن في باكسـتان هكـذا، هم يعملـون قـوانين تجـارة كما يحبـون والتعليم كما يحبون والصحة والدولية والخارجية والقضاء والعقوبـات هـذه كما يحبـون، ثم يأتي للأحوال الشخصية يقول هـذه من الفقه الحنفي نأخـذها -أو الفقه المالكي في بلادنا- فيقول: تؤخذ من الفقه المالكي مباشرةً.

فيحيلون على الفقه فيقولون: طبقًا لأحكام الشريعة، فهل يُعتبر البرلمــان في هـذه الحالة حاكمًا بالشـريعة؟ لا، ولا حـتى في الجـزء، لمـاذا؟ لأنه لم يحكم بها بنـــاء على أنها دين الله وحكم الله وشـــريعة الله وأمـــره ونهيه الذي هو ملتزم به لا يخرج عنه، هو أصلًا البرلمان هـذا هو كـافرٌ باللـه، هو غير ملتزم بدين الله أصلًا، بحكم الله وشـريعة الله هو غـير ملـتزم، يعـني هو لا يهمه أَمَر الله أو لم يــأمر، تكلم الله أو لم يتكلم، بعث رســلًا أو لم يبعث، أنزل كتبًا أو لم ينزل!

بغض النظر، بصرف النظر، بقطع النظر عن حكم الله، البرلمان هو يحكم بما يريــد، يحكم بما يحب! في مســألةٍ ما في فقــرةٍ ما أعجبه حكم الله فأخذه، فهذا ليس حكمًا بدين الله، إنما هو حَكَم بهواهُ هو، بما يعجبه هو.

وهكـذا فَعَل جنكـيز خـان وغـيرهم الـذين انتسـبوا إلى الشـريعة، أول من وضعوا القوانين في أمة الإسلام فأخذوا من الشـريعة ومن غـير الشـريعة ومن أهوائهم ومن أفكارهم، وجمعوا قانونًا.

فهذه مسألة مهمة، يعني حتى لو جاء البرلمان كله ووضع الشريعة وقال: لقد قرر البرلمان وفرض وأمر جميع الباكستانيين أن يحكموا بالشريعة، فالذي يخرج عن الشريعة نعاقبه؛ لأنه خالف البرلمان، ما ينفع!

لا بد أن نحكم بالشريعة وبدين الله على أساس أنه شرع الله، نحن ملتزمون به ولو خرجنا عليه لكفرنا، ليس لأن البرلمان جعله قانونًا! ليس بقوة البرلمان! بل هو قوته في نفسه أنه دين الله.

والله أعلم، وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.